مقدمة

في كتابه «لكيّ تنتهي كل الحروب» (To End All Wars) يروي إرنست غوردون قصةً حقيقية عن مجموعة من أسرى الحرب كانوا يعملون بسكك حديد (بورما) خلال الحرب العالمية الثانية. وصَوَّر الفيلم الذي يحمل نفس العنوان على نحو لا يُنسَى:

انتهى عمل اليوم، وجاري إحصاء المُعِدَّات كالعادة. وبينما كانت الجماعة على وشك الانصراف، صرخ الحارس الياباني معلنًا اختفاء جاروف. وأصرّ الحارس على أن أحدهم قد سرقه ليبيعه للتايلانديين. أخذ الحارس يتمشى ذهابًا وإيابًا أمام الرجال وهو يصيح ويلعنهم على شرهم، وعلى نكرانهم لجميل الإمبراطور، ذلك النكران الذي لا يُغتفر. وفي صياحه وصراخه انتابته حالة من الغضب العارم، وأمر بأن يتقدم المذنب لينال عقابه. لم يتحرك أحد، فوصل حنقه وغضبه إلى درجة غير مسبوقة من العنف.

«الموت للجميع! الموت للجميع!»

وليُثبت أنه يعني ما يقوله، رفع بندقيته على كتفه ونظر إليهم مستعدًا أن يفتح نيرانها بدايةً بالرجل الذي يقف في بداية الصف. وفي تلك اللحظة تقدم أحدهم ووقف في مركز انتباه الياباني وقال بهدوء: «أنا من فعل ذلك».

وفي إطلاق تام لكل بغضة وكراهية، رَكل الحارس أسير الحرب الضعيف وضَربه بقبضتيه. ورغم ذلك وقف الجندي ثابتًا والدم يسيل من وجهه. ودفع صمت الحارس إلى نوبة من الهياج، فأمسك ببندقيته ورفعها فوق رأسه ونزل بها على جمجمة الجندي في ضربة شديدة القوة، سقط على الأرض ولم يتحرك. ورغم أنه كان من الواضح تمامًا أنه قد مات، إلا أن الحارس ما انفك يضربه، ولم يكف إلا عندما أصابه الإرهاق من جرّاءِ الضرب.

حمل الرجال جثمان زميلهم ورفعوا المُعِدَّات على أكتافهم وساروا عائدين إلى المعسكر. وعندما تم إحصاء المُعِدَّات مرة أخرى، اتضح أنه لم يكن هناك جاروف ناقص.[1]

كان الحارس قد أخطأ العد. ولم يكن الجندي الشاب الذي تقدم قد سرق جاروفًا، بل ضحى بحياته من أجل أصدقائه.

---

[1] Ernest Gordon, *To End All Wars* (Grand Rapids, Michigan: Zondervan, 1963), pp. 101–102.

ما الذي حدث للتو؟

هل هو مجرد تكريس والتزام بالواجب؟

هناك أكثر من طريقة للثناء على تضحية هذا الشاب، فقد نقول: «هذا هو نوع التكريس الواجب الذي نحتاج لمزيد منه، وللكثير جدًا من هذه المحبة. في يومنا هذا لا نجد سوى الجُبْن والتمحور حول الذات.» وقد نقول: وهكذا كنت لأقول: «هذه هي المحبة الناجمة عن الإيمان بالنعمة المستقبلية.

إن هاتين الطريقتين في الثناء على التضحية ليسا بالضرورة متناقضتين. فالأولى تتحدث عن نوع من «التكريس للواجب»، والثانية عن القوة المغيرة للإيمان بوعود الله. وفي المقارنة بين الإثنتين علينا أن نسأل: أي نوع من الواجب كان ذلك؟ وهذا هو السؤال المحوري. إن الفعل الخارجي لا يخبر بالقصة الحقيقية. ما الذي كان يجري في القلب – تجاه الله وتجاه البشر؟ يُحذّرنا الكتاب المُقدّس من أن هناك من يضحّون بحياتهم من دون محبة للبشر أو لله. «**وَإِنْ أَطْعَمْتُ كُلَّ أَمْوَالِي، وَإِنْ سَلَّمْتُ جَسَدِي حَتَّى أَحْتَرِقَ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلاَ أَنْتَفِعُ شَيْئًا**» (كورنثوس الأولى ١٣: ٣). وبقول الرسول بولس ذلك فإنه يعني أن هناك نوعًا من «التكريس للواجب» لا يكرمه الله. إنه لا ينفع بشيء.

قد يبدو ذلك غريبًا، إذ إن يسوع نفسه قال «**لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هذَا: أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ**» (يوحنا ١٥: ١٤).

أجل، هذا ما يفعله الحب العظيم. إن الحب العظيم يضع نفسه. أما عن كون الفعل في حد ذاته حُبًا فذلك يتوقف على ما يجري في القلب، وليس فقط على الفعل الخارجي.

ثمر الإيمان بالنعمة المستقبلية

طريقة أخرى لوصف تضحية ذلك الجندي الشاب هي أن نقول: إن إيمانه بالنعمة المستقبلية تَعَمَق في قلبه فمنحه المحبة والشجاعة ليُضحّي بحياته من أجل أصدقائه. ربما فكّر للحظات: «يا يسوع، لقد مت من أجلي، فغفرت خطيتي وصارت لي حياة أبدية. إنني أحبك. أنت كنزي العظيم. أتوق لأكون معك. أصدقائي ليسوا جميعًا مستعدين للموت، ولكنني مستعد. لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح. إنني آتٍ.» ربما استغرق ١٥ ثانيةً ليُذكّر نفسه بما فعله المسيح من أجله، وما يعنيه ذلك لمستقبله بعد الموت. ثم، مسنودًا بإيمانه في وعود الله، تقدم ومات. وهذا هو ثمر الإيمان بالنعمة المستقبلية.

إن الفرق بين التضحية التي تنتج عن مجرد التكريس للواجب وتلك التي تنتج عن إيمان بنعمة الله المستقبلية هي أن الأولى تسلط الضوء على قوة الشكيمة، بينما تسلط الثانية الضوء على مجد نعمة الله. وهدف هذا الكتاب هو التركيز على قيمة المسيح عن طريق تغذية الإيمان بالنعمة المستقبلية ومساعدة المؤمنين على محاربة العكس، أي عدم الإيمان بوعود الله، مما يؤدي إلى خطية عدم تمجيد المسيح.

من أين جاءت فكرة الكتاب؟

إن الثمانية فصول التالية مأخوذة من كتاب أكبر كثيرًا بعنوان «The Purifying Power of Living by Faith in Future Grace».[٢] وهذه هي الفصول التطبيقية – تلك التي تشرح كيف أن الإيمان بالنعمة المستقبلية يقصف جذور الخطية ويطلق يَنبوع المحبة. وتركيزنا على التحدي العملي لكيفية التحرر من القلق والكبرياء والخزي وعدم الصبر والحسد والمرارة واليأس والشهوة. وقناعتي هي أن عدم الإيمان بوعود الله (أي النعمة المستقبلية) هو الجذر الذي يمد تلك الخطايا بالحياة. ومن هنا جاء العنوان: شدّد ضعف إيماني.

إنها لمجازفة أن أقوم بنشر هذه الفصول الثمانية من دون تلك الفصول الـ ٣٢ المحيطة بها والتي تشرح الأساسات والمدلولات الموجودة في النعمة المستقبلية. ولكنني أرى أن الأمر يستحق المجازفة. ينتقل الكثيرون من التطبيق إلى الأساسات وليس العكس. لذا آمل أن يؤدي اكتشاف بعض الطرق التي يحررنا بها الإيمان من الخطية من خلال هذا الكتاب الصغير بالكثير من القُرّاء إلى الكتاب الكبير من أجل فهم كتابي أعمق.

---

[2] John Piper, The Purifying Power of Living by Faith in Future Grace (Sisters, Oregon: Multnomah Publishers, 1995).

نحارب من أجل الإيمان بالنعمة المستقبلية

«شدّد ضعف إيماني» هو تعبير آخر لعبارة «الحياة بالإيمان في النعمة المستقبلية.» و«عدم الإيمان» الذي أعنيه هو الفشل في تصديق وعود الله التي تحفظ طاعتنا المتطرفة في المستقبل. وهذه الوعود تشير إلى ما ينوي الله أن يفعله لنا في المستقبل، وهذا ما أعنيه بالنعمة المستقبلية. إنها نعمة لأنها صالحة جدًا لنا ولأننا لا نستحقها. وهي «عتيدة» أو مستقبلة لأنها لم تتحقق لنا بعد، ولكنها قد تتحقق خلال الخمس ثواني التالية أو الخمسة آلاف سنة المقبلة.

إن وعود الله مذهلة للمؤمن. إنها ذات صلة بمستقبلنا الفوري، قبل أن تنقضي هذه الدقيقة، وبمستقبلنا الأبدي.

- فَيَمْلأُ إِلهِي كُلَّ احْتِيَاجِكُمْ بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي الْمَجْدِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. (فيلبّي ٤: ١٩)
- إِنَّمَا خَيْرٌ وَرَحْمَةٌ يَتْبَعَانِنِي كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي، وَأَسْكُنُ فِي بَيْتِ الرَّبِّ إِلَى مَدَى الأَيَّامِ. (مزمور ٢٣: ٦)
- لأَنَّ الرَّبَّ، اللهَ، شَمْسٌ وَمِجَنٌّ. الرَّبُّ يُعْطِي رَحْمَةً وَمَجْدًا. لاَ يَمْنَعُ خَيْرًا عَنِ السَّالِكِينَ بِالْكَمَالِ. (مزمور ٨٤: ١١)
- لاَ تَخَفْ، أَيُّهَا الْقَطِيعُ الصَّغِيرُ، لأَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ سُرَّ أَنْ يُعْطِيَكُمُ الْمَلَكُوتَ. (لوقا ١٢: ٣٢)

- لاَ تَخَفْ لأَنِّي مَعَكَ. لاَ تَتَلَفَّتْ لأَنِّي إِلهُكَ. قَدْ أَيَّدْتُكَ وَأَعَنْتُكَ وَعَضَدْتُكَ بِيَمِينِ بِرِّي. (إشعياء ٤١: ١٠)

- إِذًا لاَ يَفْتَخِرَنَّ أَحَدٌ بِالنَّاسِ! فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَكُمْ: أَبُولُسُ، أَمْ أَبُلُّوسُ، أَمْ صَفَا، أَمِ الْعَالَمُ، أَمِ الْحَيَاةُ، أَمِ الْمَوْتُ، أَمِ الأَشْيَاءُ الْحَاضِرَةُ، أَمِ الْمُسْتَقْبِلَةُ. كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلِلْمَسِيحِ، وَالْمَسِيحُ للهِ. (كورنثوس الأولى ٣: ٢١ – ٣٢)

- وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ. (رومية ٨: ٢٨)

- وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ. (متى ٢٨: ٢٠)

- فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ، وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتِ، وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً، وَلاَ عُلْوَ وَلاَ عُمْقَ، وَلاَ خَلِيقَةَ أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا. (رومية ٨: ٣٨ –٣٩)

توجد هذه الوعود ومئات الوعود الأخرى في الكتاب المُقدّس لتحفظ إيماننا بنعمة الله المستقبلية. والهِبَّة الأعظم في نهاية كل الوعود هي الله نفسه. لقد مات المسيح لا ليجعل الأمور تسير على نحو جيد لنا، بل ليُحضرنا إلى الله. «فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ، مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلكِنْ مُحْيىً فِي الرُّوحِ» (بطرس الأولى ٣: ١٨). «مَنْ لِي فِي السَّمَاءِ؟

وَمَعَكَ لاَ أُرِيدُ شَيْئًا فِي الأَرْضِ» (مزمور ٧٣: ٢٥). «قُلْتُ لِلرَّبِّ: «أَنْتَ سَيِّدِي. خَيْرِي لاَ شَيْءَ غَيْرُكَ»» (مزمور ١٦: ٢). «بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ» (فيلبّي ٣: ٨). وصلّى يسوع قائلاً: «أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي» (يوحنا ١٧: ٢٤). إن الهِبَّة النهائية والأفضل والأعظم والأكثر إشباعًا للنعمة المستقبلية هي أن نذوق وننظر الله نفسه.[٣]

تعلَّم أن تحارب النار بالنار!

إن الشبع بكل ما وعد الله أن يكونه لنا في يسوع المسيح هو جوهر الإيمان بالنعمة المستقبلية. لاحظ أنني حين أتكلم عن الإيمان بالنعمة المستقبلية أو الشبع بما وعد الله أن يكون لنا فإنني أفترض أن جزءًا محوريًا من ذلك الإيمان وذلك الشبع هو قبول المسيح لأنَه حمل خطايانا، وتُنسَب طاعة المسيح الكاملة لله إلينا بالإيمان. بتعبير آخر: يشمل الإيمان بالنعمة المستقبلية أساس كل الوعود بالإضافة إلى الوعود نفسها. إنه عرفان بقيمة المسيح الثمينة بصفته الشخص الذي يُعد دَمه وبره أساسًا لكل نعمة عتيدة. كما أنه تقدير لكل ما يعد الله بأن يكون لنا في المسيح بفضل ذلك العمل. كلما تحدثت عن أن الإيمان هو الشبع بكل ما يكونه الله لنا في يسوع، فإنني أشمل كل هذا في ذلك الإيمان.

[٣] هذه هي النقطة المحورية التي أحاول توضيحها على نحو أكثر اكتمالاً في كتابي God Is the Gospel: Meditations on God's Love as the Gift of Himself (Wheaton, Illinois: Crossway Books, 2005).

إن هذا الإيمان هو القوة التي تقصف جذر الخطية. للخطية قوة بسبب الوعود التي تعطينا إياها، فهي تقول لنا: «إن كذبت بشأن ضرائبك، سيتوفر لديك المزيد من المال لتشتري ما يجعلك أكثر سعادةً.» «إن شاهدت هذه المواد الإباحية، ستختبر نوبةً من السعادة أفضل من الفرح الذي يجلبه لك ضميرك النظيف.» «إن تناولت هذا البسكويت بينما لا يراك أحد، سيخفف ذلك من شعوك بالجرح ويساعدك على التأقلم مع وضعك أكثر من أي شيء الآن.» لا أحد يخطئ من باب الواجب، بل نخطئ لأننا نصدق تلك الوعود الخادعة التي تعطينا إياها الخطية. ولكن الكتاب المُقدّس يحذرنا قائلًا: «**لِكَيْ لاَ يُقَسَّى أَحَدٌ مِنْكُمْ بِغُرُورِ الْخَطِيَّةِ**» (العبرانيين ٣: ١٣). إن وعود الخطية وعود كاذبة.

إن محاربة عدم الإيمان والحرب من أجل الإيمان في النعمة المستقبلية يعني أن نحارب النار بالنار، أن نواجه وعود الخطية بوعود الله. أن نأتي بوعد عظيم ما أعطانا الله إياه عن مستقبلنا وأن نواجه به الخطية قائلين: «ألديك ما يضاهي هذا؟» وهكذا نفعل كما يقول بولس: في رومية ٨: ١٣ «**وَلكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِالرُّوحِ تُمِيتُونَ أَعْمَالَ الْجَسَدِ فَسَتَحْيَوْنَ.**» قام (جون أوين) بتأليف كتاب عن هذه الآية وختمه بقوله «اقتل الخطية وإلا قتلتك.»[4] نقتل الأعمال الشريرة قبل أن تحدث عن طريق قطع جذرها، وجذرها هو وعود الخطية الخادعة.

أن نفعل ذلك «بالروح» يعني أن نثق في قوة الروح ثم أن نأخذ

[4]. John Owen, *Mortification of Sin,* in *The Works of John Owen*, Vol. 6, edited by William H. Goold (Edinburgh: The Banner of Truth, 1967), p. 9.

«سيف الروح» الذي هو كلمة الله (أفسس ٦: ١٧). إن «كلمة الله» هي في جوهرها بشارة الإنجيل، ثم كل ما تكلم به الله في كلمته المعلنة. إن إنجيل موت المسيح وقيامته ليس فقط الجوهر بل أيضاً الأساس لكل وعود الله. وهذا هو منطق الكلمات التي جاءت في (رومية ٨: ٣٢) «**اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟**» «كل شيء» نحتاج إليه – تحقق كل وعود الله – مضمون بعدم إشفاق الآب عن ابنه. وللتعبير عن هذه الحقيقة على نحو إيجابي، فإن كل وعود الله مُؤمَّنة لنا لأن الله أرسل ابنه ليعيش ويموت ليمحو خطايانا وليصير برنا. فعندما أقول أن نأخذ كلمة الله، سيف الروح، ما أعنيه هو أن نتمسك بحق الإنجيل الذي محوره المسيح بكل وعوده، وأن نتكل عليها في كل موقف. إننا نقطع العرق الذي يمد الخطية بالحياة بقوة الوعد الفائق. وللتعبير عن الأمر على نحو أكثر إيجابيةً، فإننا نطلق نهر المحبة بالإيمان بالنعمة المستقبلية. نصير أناسًا محبين عن طريق إيماننا بوعود الله.

هكذا أحب يسوع

يقول الكتاب: إن يسوع احتمل الصليب «**من أجل السرور الموضوع أمامه**» (العبرانيين ١٢: ٢). بتعبير آخر: إن أعظم عمل للمحبة الباذلة تم على الإطلاق كان بواسطة الثقة في أن الله سيأتي بالمسيح من خلاله إلى الفرح الأبدي مع شعب مفدي عابد. وهكذا تدوم محبتنا أيضاً.

ولكن هناك فرق. إن استعدادنا لاحتمال تضحيات المحبة «من أجل السرور الموضوع أمامنا» قد اشتراه استعداد يسوع أن يفعل نفس الشيء. تستُر آلامه خطايانا وتحررنا وتطلقنا في المحبة. وآلامنا في طريق المحبة مبنية على ذلك. لقد جاء فرحه العتيد كحق. أما فرحنا العتيد فيأتينا بنعمة اشتراها الدم. إن آلامه ليست مجرد نموذج، بل أساس رجائنا. لقد أنقذتنا آلامه من الخطية والدينونة. إلا أن آلامه وآلامنا تُحتَمَل «من أجل السرور الموضوع أمامنا.» لقد كان سروره حقًا عتيدًا. وسرورنا نعمة عتيدة.

لذا، دون موت وقيامة يسوع، أي دون النعمة السابقة، لا يمكننا توقع نعمة عتيدة. إن نعمة الله المستقبلية تجاهنا قد اشترتها وضمنتها نعمته السابقة تجاهنا بموت يسوع وقيامته. وكما رأينا، يقول بولس ذلك في واحدة من أعظم آيات الكتاب المُقدّس: «**اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ** (نعمة سابقة)، **كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ** (نعمة عتيدة)؟» (رومية ٨: ٢٣). لاحظ المنطق السماوي المجيد: لأن الله لم يشفق على ابنه من أي ألم من أجل خلاصنا، لذا فإنه لن يمسك عنا شيئاً مما نحتاج إليه إلى الأبد. إن النعمة المستقبلية ستأتي لا محالة لمن يثقون في المسيح لأن الله أمَّنها على نحو لا يقبل الشك إذ لم يمسك ابنه عنا.

نحارب كمنتصرين

تقول الآيات التالية: «**مَنْ سَيَشْتَكِي عَلَى مُخْتَارِي اللهِ؟ اَللهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ. مَنْ هُوَ الَّذِي يَدِينُ؟ اَلْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ قَامَ أَيْضًا، الَّذِي هُوَ أَيْضًا عَنْ يَمِينِ اللهِ، الَّذِي أَيْضًا يَشْفَعُ فِينَا**» (رومية ٨: ٣٣ – ٣٤). وهذا يعني أن الله قد بررنا بفضل المسيح. فعل ماضٍ. والآن صرنا نُحسب أبرارًا بالفعل في المسيح. لا يستطيع أحد أن ينجح في إدانتنا. لقد مات المسيح من أجلنا، وهو حيٌّ لنا. لذا فإننا نقاوم عدم الإيمان والخطية كمن لهم نصرة أكيدة بالفعل في المسيح. لنا مكان مُؤمَّن في السماء بالإيمان في المسيح. المسيح هو برنا. المسيح هو كمالنا. إننا نسعى للقداسة لا لأن الله لم يقبلنا بعد، بل لأنه قبلنا بالفعل. وهكذا صاغ بولس هذه الحقيقة: «**لَيْسَ أَنِّي قَدْ نِلْتُ أَوْ صِرْتُ كَامِلًا، وَلكِنِّي أَسْعَى لَعَلِّي أُدْرِكُ الَّذِي لأَجْلِهِ أَدْرَكَنِي أَيْضًا الْمَسِيحُ يَسُوعُ**» (فيلبّي ٣: ١٢).

لذا أدعوك لتشترك معي في محاربة عدم الإيمان بوعود الله. أدعوك لتخوض حرب الإيمان بالنعمة المستقبلية. وأدعوك للفرح بأنه يمكننا أن نخوض هذه الحرب ليس وكأنها غير هامة بل عالمين أنها ذات أهمية لا محدودة، وأن الله معنا حتى النهاية: «**لاَ تَخَفْ لأَنِّي مَعَكَ. لاَ تَتَلَفَّتْ لأَنِّي إِلهُكَ. قَدْ أَيَّدْتُكَ وَأَعَنْتُكَ وَعَضَدْتُكَ بِيَمِينِ بِرِّي**» (إشعياء ٤١: ١٠).

فِي يَوْمِ خَوْفِي، أَنَا عَلَيْكَ أَتَّكِلُ.
(مزمور ٥٦: ٣)

مُلْقِينَ كُلَّ هَمِّكُمْ عَلَيْهِ، لأَنَّهُ هُوَ يَعْتَنِي بِكُمْ.
(ابطرس ٥: ٧)

فَلاَ تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ؟ أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ؟
أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟ فَإِنَّ هذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا الأُمَمُ.
لأَنَّ أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هذِهِ كُلِّهَا.
(متى ٦: ٣١ – ٣٢)

الفصل الأول

محاربة القلق

انتصار شخصي عبر النعمة المستقبلية

في العامين الأخيرين لي في المرحلة الثانوية، لم أكن أستطع التحدث أمام حشد من الناس. كنت أصاب بالتوتر الشديد حتى أن صوتي كان يختنق تمامًا. لم يكن مجرد توتر طفيف أو شعور بالتوعك كالذي يختبره الكثيرون، بل كانت إعاقةً بشعةً ومهينةً. وكانت سببًا في توتر هائل في حياتي. لم أستطع أن أقدم تقريرًا شفهيًا عن الكتب في المدرسة. ولم أستطع الترشح لأي منصب طلابي لأن ذلك كان يستلزم أن أقدم الخُطب من خلال الحملات. لم أستطع الإجابة على أسئلة المعلمين في الصف بسوى بكلمات معدودة وإجابات قصيرة. وفي حصة الرياضيات كنت أشعر بالحرج من فرط ارتعاش يدي عندما كان يطلب

مني أن أقوم بحل مسألة في الجبر على السبورة. ولم أستطع أن أقوم بالقيادة في الكنيسة يوم الأحد عندما كانت الكنيسة تُولي القيادة للشباب.

لقد أبكاني ذلك كثيرًا. وخاضت أمي تلك المعركة معي، فكانت تدعمني وتشجعني. لقد حملتنا نعمة الله على الرغْم من أن «الشوكة في الجسد» لم تزل. تمكنت من الوصول إلى الجامعة دون الاضطرار للتحدث أمام حشد كبير. ولكن حربي مع التوتر كانت ضاريةً. كنت أعلم أن حياتي ستكون محدودة جدًا إن لم يحدث اختراقًا لهذا الأمر. وكنت أتوقع أنني لن أتمكن من اجتياز سنوات الجامعة دون التحدث أمام حشد. بل وكانت جامعة (ويتون) تتطلب دراسة الخطابة في ذلك الوقت. ولاح الأمر في الأفق كشبح مخيف.

في تلك السنوات، دفعتني نعمة الله إلى العمق مع الله مدفوعًا بيأسي بدلًا من الابتعاد عنه في غضب. وأشكر الله على ذلك من كل قلبي. ومن تلك العِلاقة الناضجة تولَّد شعور بأنه لابد من أن يحدث اختراق.

وجاءت فرصة محورية في صف اللغة الإسبانية في السنة الأولى من دراستي الجامعية. كان على كل منا أن يقدم خطبةً قصيرةً بالإسبانية أمام بقية الصف. ولم يكن هناك سبيل لاجتناب ذلك. وشعرت أن الأمر إما أن يكسرني أو يخلقني. ولم أزل لا أجد الأمر مضحكًا حتى بينما أكتب هذه الكلمات الآن. حفظت الخُطْبة عن ظهر قلب. ظننت إن الحفظ سيجعلني في غنى عن النظر إلى أوراقي والتعثر في إيجاد السطر الصحيح واختبار لحظات من ذلك الصمت القاتل. كذلك قررت

أن أتحدث من خلف منبر خشبي ضخم وأن أتشبث به بقوة فيسيطر ذلك على ارتجافي. ولكن الشيء الرئيسي الذي فعلته كان الصراخ إلى الله والاتكال على وعوده بالنعمة المستقبلية. وحتى الآن لم تزل الدموع تجتمع في عيني كلما تذكرت كيف كنت أسير ذهابًا وإيابًا داخل الحرم الجامعي متضرعًا إلى الله من أجل اختراق لحياتي.

ولا أذكر الآن لحظات تحدثي بالإسبانية بوضوح، إنما أذكر أنني اجتزتها. كان الجميع يعلمون أنني متوتر. وخيم صمت مقيت، ذلك الصمت الذي يسود عندما يشعر الناس بالتعاطف معك ولكنهم لا يعرفون كيف يتصرفون. ولكنهم لم يهمهموا كما كان الكثيرون قد فعلوا في سنوات سابقة. وكان المعلم رحيمًا في تعليقاته. ولكن الشعور الغامر كان هو أنني اجتزت الأمر. وفي وقت لاحق فاض قلبي بالشكر للرب تحت شمس الخريف. وحتى يومنا هذا أشعر بالامتنان الشديد للنعمة التي أعطاني الرب إياها في ذلك اليوم.

لعل الموقف الأكثر تأثيرًا في ذلك الاختراق كان ما حدث بعد أكثر من عام. كنت قد بقيت في الجامعة من أجل الدراسة الصيفية، ودعاني القس (إيفان ويلش) للصلاة في الكنيسة الملحقة بالجامعة. وكان سيحضر الصلاة مئات الطلاب وأعضاء هيئة التدريس. لذا كانت أول ردة فعل لي هي الرفض الفوري للفكرة. ولكن قبل أن أتمكن من الرفض، أوقفني شيء ما. ووجدت نفسي أسأل: «كم من الوقت ينبغي أن تكون الصلاة؟» فقال: إن طول الصلاة لا يهم، بل المهم أن تكون من قلبي.

لم أكن قد جربت ذلك قط: أن أتحدث إلى الله أمام مئات الأشخاص. وذُهلت بقبولي. واتضح أن تلك الصلاة كانت نقطة تحول في حياتي. ولأول مرة قطعت عهدًا مع الله، إذ قلت له: «يا رب: إن جعلتني أجتاز هذا الموقف دون أن يختنق صوتي، فإنني لن أعود أرفض أية فرصة للتحدث أمام حشد بسبب التوتر.» وكان ذلك عام ١٩٦٦. واستجاب الرب بنعمة غالية مرة أخرى، وقد وفيت بعهدي منذ ذلك الحين.

وتواصلت القصة إذ ظهرت نعمة الله المستقبلية المرة تلو الأخرى. ولا أزعم أنني أفهم كل مقاصد الله وتوقيتاته بشكل كامل. وما كنت لأتمنى أن أحيا سنوات المرحلة الثانوية مرة أخرى، إذ كان تكرار التوتر والإهانة والخزي كثيرًا على نحو صبغ تلك السنوات. أصعدت مئات الصلوات، ولم تكن الاستجابات كما كنت أريد في ذلك الوقت – إذ أعطاني الرب نعمة الاحتمال. أما تفسيري لذلك الآن، وبعد مرور ٣٠ عامًا، هو أن الله كان يحفظني من غرور زائد وتأثر بالعالم. سمح الله بأن أحتمل أمورًا ثقيلةً وحدي بينما كان كثيرون ينزلقون إلى أنماط الحياة السطحية.

ويوجد الآن على الطاولة المجاورة لي الكتاب المُقدّس الذي أعطاني إياه والداي عندما كُنت في سن الخامسة عشر. وبه خطوط وعلامات كثيرة. وهناك علامة حمراء ملفتة على الآية التي توجد في (متى ٦: ٣٢)، والتي تقول: «**لأَنَّ أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هذِهِ كُلِّهَا**.» لقد كنت أصارع في سنوات مراهقتي لأحيا بالإيمان

في النعمة المستقبلية. لقد كانت الانتصارات محدودة على ما يبدو. ولكن ما أعظم أمانة الله ولطفه!

رفقاء القلق

في العقود التالية تعلمت الكثير عن الحرب ضد القلق والتوتر. فقد تعلمت على سبيل المثال أن القلق حالة قلبية تفتح المجال للكثير من الحالات الفكرية الخاطئة الأخرى. للحظات فكّر في الأفعال والتوجهات الخاطئة المختلفة التي تنجم عن التوتر والقلق. فالقلق حيال الماديات من الممكن أن يفتح المجال للحسد والطمع والجمع المفرط والسرقة. والقلق حيال النجاح في مهمة ما قد يجعلك سريع الانفعال وحادًا وعابسًا. وقد يجعلك القلق حيال العلاقات منسحبًا منطويًا غير مبالٍ وغير مهتم بالآخرين. وقد يجعلك القلق حيال رد فعل شخص ما نحوك تخفي الحقائق وتكذب. لذا فإن غلبت القلق فإنك تسدد ضربةً شديدةً للكثير من الخطايا الأخرى.

جذور القلق

وتعلمت شيئًا أيضًا عن أصل التوتر والفأس الذي تستطيع قطعه. كان من أهم المقاطع الكتابية هو ذلك المقطع الذي وضعت تحته خطًا وأنا في سن الخامسة عشر – (متى ٦: ٢٥ – ٣٤). يوصي يسوع تلاميذه في هذا المقطع ٤ مرات ألا يهتموا. ففي الآية ٥٢ يقول: «**لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ.**» وفي الآية ٢٧ «**وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا اهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ**

عَلَى قَامَتِهِ ذِرَاعًا وَاحِدَةً؟» وفي الآية ٣١ «**فَلاَ تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ؟**» وفي الآية ٣٤ «**فَلاَ تَهْتَمُّوا لِلْغَدِ.**»

من الواضح أن القلق هو محور هذا المقطع، ويوضح جذر القلق في الآية ٣٠ في قوله: «**فَإِنْ كَانَ عُشْبُ الْحَقْلِ الَّذِي يُوجَدُ الْيَوْمَ وَيُطْرَحُ غَدًا فِي التَّنُّورِ، يُلْبِسُهُ اللهُ هكَذَا، أَفَلَيْسَ بِالْحَرِيِّ جِدًّا يُلْبِسُكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ؟**» بتعبير آخر، يقول يسوع: إن جذر القلق هو قلة الإيمان في نعمة أبينا المستقبلية. عندما يصير لعدم الإيمان الكلمة المسموعة في قلوبنا، يكون القلق هو أحد أوجه التأثر. إن الجذر المسبب للقلق هو عدم الثقة في كل ما وعد أن يُكوِّنه الله لنا في يسوع.

هناك ردي فعل مضطربين لهذه الحقيقة. سأخبرك بهما ثم سأعطيك رد الفعل الكتابي لكل منهما قبل أن نلقي نَظْرَة أكثر تدقيقًا على الحرب ضد القلق والتوتر.

هل هذا خبر سار؟

إن أحد ردي الفعل هو كما يلي: «هذا ليس خبرًا سارًا! بل ومن المحبط جدًا أن أعرف أن ما كنت أظنه مجرد صراع مع ميل إلى القلق هو في الواقع صراع أعمق كثيرًا مع ثقتي في الله.» وردة فعلي لهذا التفكير هي الموافقة، ولكن أيضًا الاختلاف. افترض أنك كنت مصابًا بألم في معدتك وعانيت كثيرًا مع أدوية ونظم غذائية مختلفة دون جدوى. ثم افترض أن طبيبك أخبرك بعد زيارتك المعتادة

بأنك مصابٌ بالسرطان في أمعائك الدقيقة. فهل ذلك خبر سار؟ قطعًا لا! وأوافقك الرأي.

ولكن دعني أطرح عليك السؤال بطريقة مختلفة: ألست مسرورًا باكتشاف الطبيب للسرطان بينما لم يزل قابلًا للعلاج وبأنه من الممكن بالفعل أن يتم علاجه بنجاح شديد؟ ستقول: بلى، إنني سعيد جدًا باكتشاف الطبيب للمشكلة الحقيقية. وأوافقك الرأي مرة أخرى. إذًا فاكتشاف أنك مصاب بالسرطان ليس خبرًا سارًا، بل خبر سيئ للغاية. ولكن من منظور آخر، من الجيد أنه تم اكتشافه، لأن معرفة سبب المشكلة أمر جيد، خاصةً وإن كان المرض قابلًا للعلاج الناجح.

وهكذا هي معرفة أن المشكلة الحقيقية وراء القلق هي عدم الإيمان في وعود الله بنعمة عتيدة. من ناحية لا يعد ذلك خبرًا سارًا، لأن عدم الإيمان سرطان خطير جدًا. ولكن من ناحية أخرى يعد ذلك خبرًا سارًا لأن معرفة أصل المشكلة أمرٌ جيد، خاصةً وأن عدم الإيمان من الممكن علاجه بنجاح من قبل طبيبنا الأعظم. إنه يستطيع العمل بطرق عظيمة للشفاء عندما تصرخ له قائلًا «**أُومِنُ يَا سَيِّدُ، فَأَعِنْ عَدَمَ إِيمَانِي**» (مرقس ٩: ٢٤).

لذا أريد التأكيد على أن اكتشاف الصلة بين قلقنا وعدم إيماننا هو في الواقع خبر سار جدًا، لأنه السبيل الوحيد إلى تركيز جهادنا على السبب الحقيقي لخطيتنا ونيل النصرة التي يستطيع الله أن يمنحنا إياها بواسطة كلمته الشافية وروحه. قال بولس في (١تيموثاوس

٦: ١٢): «**جَاهِدْ جِهَادَ الإِيمَانِ الْحَسَنَ**»، ووصفه بالحسن لأن الجهاد يركز على بؤرة السرطان: عدم الإيمان.

كيف أحصل على أي ضمان؟

هناك ردة فعل أخرى محتملة لحقيقة أن قلقنا يعود في الواقع إلى فشلنا في أن نحيا بالإيمان في النعمة المستقبلية، وهو كما يلي: «عليّ التعامل مع مشاعر القلق كل يوم تقريبًا، لذا أشعر أن إيماني بنعمة الله لابد وأن يكون غير كاف. فهل يمكنني الحصول على أي ضمان فيما يتعلق بخلاصي؟»

وإجابتي على هذا التساؤل مختلفة قليلًا. تخيل أنك في سباق سيارات، فقام خصمك، الذي لا يريد أن تكمل السباق، بقذف الطين على زجاج سيارتك الأمامي. كونك لم تعد ترى هدفك بشكل مؤقت، وفقدانك السيطرة قليلاً، لا يعني أنك ستنسحب من السباق. وقطعًا لا يعني أنك على المضمار غير الصحيح، وإلا لما أزعجك خصمك من الأساس. بل ما يعنيه ذلك هو أنه عليك أن تشغل المساحات لتنظف الزجاج مستخدمًا الماء.

عندما يهجم القلق علينا ويعكر بصيرتنا ورؤيتنا لمجد الله وعظمة المستقبل الذي أعده لنا، فهذا لا يعني أننا عديمي الإيمان أو أننا لن ندخل السماء، بل يعني أن إيماننا يتعرض لهجوم. في الضربة الأولى، قد يتزعزع إيماننا بوعود الله قليلًا. أما بقائنا في المضمار ووصولنا إلى خط النهاية فيتوقف على ما إذا كنا سنبدأ عملية المحاربة بالنعمة –

ما إذا كنا سنقاوم عدم الإيمان الذي ينتج عن القلق. فهل ستقوم بتشغيل مساحات الزجاج لتنظف الزجاج الأمامي لسيارتك؟

يقول المرنم في (مزمور ٥٦: ٣) «**فِي يَوْمِ خَوْفِي، أَنَا عَلَيْكَ أَتَّكِلُ.**» لاحظ أنه لم يقل «لا أصارع مع الخوف أبدًا.» فالخوف يهجم وتبدأ المعركة. لذا لا تفترض كلمة الله أن المؤمن الحقيقي لن يعاني من القلق مطلقًا. بل يخبرنا الكتاب بكيفية المحاربة عندما تحدث الهجمة. فمثلاً، يقول الكتاب في (١بطرس ٥: ٧): «**مُلْقِينَ كُلَّ هَمِّكُمْ عَلَيْهِ، لأَنَّهُ هُوَ يَعْتَنِي بِكُمْ.**» لم يقل إننا لن نهتم أبدًا، بل يقول عندما تهتم، القِ همك على الرب. عندما يلطخ الطين زجاج سيارتك الأمامي وتفقد رؤيتك بشكل مؤقت للطريق فتفقد السيطرة في توتر، شغل المساحات واغسل الزجاج بالماء.

لذا فردي على الشخص الذي يواجه مشاعر القلق كل يوم هو أن ذلك أمر طبيعي – على الأقل بالنسبة لي منذ سنوات مراهقتي. ولكن السؤال الحقيقي هو: كيف نقاوم قلقنا وتوترنا؟

سلاحان لتبْني إيمانك

إن إجابة هذا السؤال هي: نقاوم القلق عن طريق محاربة عدم الإيمان والتمسك بالإيمان بالنعمة المستقبلية. وسبيلك إلى هذا «الجهاد الحسن» هو تأمل تأكيدات الله على النعمة المستقبلية وطلب معونة روحه. إن مَساحَات السيارة هي وعود الله التي تزيل طين عدم الإيمان، والماء هو معونة الروح القدس. إن المعركة للتحرر من الخطية هي معركة

«بالروح» (رومية ١٥: ١٦، ٢تسالونيكي ٢: ١٣، ١بطرس ١: ٢) و«بالحق» (يوحنا ١٧: ١٧، ١٩) عمل الروح وكلمة الحق – وخاصةً الحق الأساسي للإنجيل والذي يضمن كل وعود الله. هذان هما السلاحان لبناء الإيمان.

دون العمل المُليِّن للروح القدس (الماء)، فإن الكلمة (المساحات) ستصدم عدم إيمانك (كتل الطين) فحسب. والاثنان ضروريان – الروح والكلمة. نقرأ وعود الله ونصلي طالبين معونة روحه. وبينما تقوم المساحات بالتنظيف فنرى الجود الذي أعده الله لنا (إرميا ٢٩: ١١)، ينمو إيماننا ويتقوى ويزول القلق.

سبعة وعود بنعمة عتيدة لمحاربة القلق

كيف يتحقق ذلك عملياً؟ نجد في (متى ٦) مثالاً للقلق أو الاهتمام بالطعام والملابس. وحتى في دول العالم الأول، نجد قلقًا شديدًا منتشرًا فيما يتعلق بالماديات والمنازل. ولكن في عدد ٣٠ يقول يسوع: إن ذلك ينبع من عدم الإيمان الكافي بوعود أبينا السماوي بالنعمة المستقبلية: «يا قليلي الإيمان» وهكذا، فهناك سبعة وعود على الأقل في هذا المقطع أعلنها يسوع ليساعدنا على الجهاد الحسن ضد عدم الإيمان والتحرر من القلق.

الوعد الأول

«لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَـــاتِكُمْ بِمَا تَأْكـُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبـــُونَ، وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللِّبَاسِ؟» (متى ٦: ٢٥)

تتدرج هذه الحُجَة من الأكبر إلى الأصغر. إن كان الله يفعل الأكبر، فمن المؤكد تمامًا أنه سيفعل الأصغر. وفي هذه الآية، الأكبر هو أن الله أعطانا حياة وأجساد. والحياة والجسد أكثر تعقيدًا وصعوبةً في الاستمرارية من مجرد تدبير الملابس. ورغم ذلك، فإن الله يدبرهما. لذا فكم بالحري يستطيع الله أن يدبر الطعام واللباس. وعلاوةً على ذلك، فمهما حدث، سيقيم الله جسدك يومًا ما ويحفظ حياتك من أجل شركته الأبدية.

الوعد الثاني

«اُنْظُرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لاَ تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ وَلاَ تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ، وَأَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ يَقُوتُهَا. أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلَ مِنْهَا؟» (متى ٦: ٢٦)

إن كان الله مستعدًا وقادرًا على إطعام تلك المخلوقات الصغيرة كالطيور التي لا تستطيع أن تفعل شيئًا لكي تُوجِد لنفسها طعامًا – كما نستطيع نحن عن طريق الزراعة – فقطعًا سيدبر ما تحتاج إليه، لأنك أفضل كثيرًا من الطيور.

الوعد الثالث

«وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا اهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَامَتِهِ ذِرَاعًا وَاحِدَةً؟ وَلِمَاذَا تَهْتَمُّونَ بِاللِّبَاسِ؟ تَأَمَّلُوا زَنَابِقَ الْحَقْلِ كَيْفَ تَنْمُو! لاَ تَتْعَبُ وَلاَ تَغْزِلُ.» (متى ٦: ٢٧ – ٢٨)

يؤكد هذا الوعد حقيقة أن القلق لا يفيد. ليست هذه هي الحُجَة الرئيسية، ولكن أحيانًا يكون علينا أن نكون صارمين مع أنفسنا وأن نقول لها: «يا نفسي، هذا الخوف والقلق عديم الفائدة بالمرة. لن تفسدي يومك فحسب، بل ستفسدين اليوم على كثيرين آخرين. دعي الأمر للرب وتابعي عملك.» إن القلق لا ينجز شيئًا على الإطلاق.

الوعد الرابع

«تَأَمَّلُوا زَنَابِقَ الْحَقْلِ كَيْفَ تَنْمُو! لاَ تَتْعَبُ وَلاَ تَغْزِلُ. وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ وَلاَ سُلَيْمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا. فَإِنْ كَانَ عُشْبُ الْحَقْلِ الَّذِي يُوجَدُ الْيَوْمَ وَيُطْرَحُ غَدًا فِي التَّنُّورِ، يُلْبِسُهُ اللهُ هكَذَا، أَفَلَيْسَ بِالْحَرِيِّ جِدًّا يُلْبِسُكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ؟» (متى ٦: ٢٨ – ٣٠)

بالمقارنة بزنابق الحقل، فإنك ذو أولوية كبيرة جدًا لدى الله، لأنك ستحيا إلى الأبد، وتستطيع أن تسبحه إلى الأبد. إلا أنه لدى الله طاقة خلق فياضة واهتمام يغمر الزنابق التي لا تتجاوز حياتها أيامًا معدودة. لذا قطعًا سيستخدم تلك الطاقة ومهارة الخلق في الاهتمام بأولاده الذين سيحيون إلى الأبد.

الوعد الخامس

«فَلاَ تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ؟ أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ؟ أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟ فَإِنَّ هذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا الأُمَمُ. لأَنَّ أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هذِهِ كُلِّهَا.» (متى ٦: ٣١ – ٣٢)

لا تظن أن الله يجهل احتياجاتك، فهو يعرفها جميعها، وهو «أبوك السماوي». إنه لا ينظر إليك من بعيد بعدم اكتراث، بل يهتم، وسيفعل وسيملأ احتياجك في الوقت المناسب.

الوعد السادس

«لكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ، وَهذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ.» (متى ٦: ٣٣)

إن كرّست نفسك لمقاصد الرب في العالم بدلًا من القلق حيال احتياجاتك المادية الخاصة، فإن الله سيحرص على تسديد كل احتياج لديك من أجل تتميم مشيئته ومجده. ويشبه هذا الوعد الذي جاء في (رومية ٨: ٣٢) والذي يقول: «**اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟**»[١]

الوعد السابع

«فَلاَ تَهْتَمُّوا لِلْغَدِ، لأَنَّ الْغَدَ يَهْتَمُّ بِمَا لِنَفْسِهِ. يَكْفِي الْيَوْمَ شَرُّهُ.» (متى ٦: ٣٤)

[١] للإطلاع على شرحٍ لعبارة «كل الأشياء»، اقرأ الفصل الثامن من Future Grace.

يحرص الله على ألاَّ تُجرَّب أبدًا بما يفوق احتالمك (كورنثوس الأولى ١٠: ١٣). سيعمل لصالحك بحيث تكون «**كَأَيَّامِكَ رَاحَتُكَ**» (تثنية ٣٣: ٢٥). لن يحمل أي يوم متاعب أكثر مما يمكنك احتماله، بل وستجد مراحم جديدة كافية لضغوطات اليوم (مراثي إرميا ٣: ٢٢ – ٢٣).

«فيملأ إلهي كل احتياجكم»

تعلَّم بولس هذه الدروس من يسوع وطبقها على المعركة ضد القلق في كنيسة فيلبّي. ويقول في (فيلبّي ٤: ٦): «**لاَ تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، لِتُعْلَمْ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللهِ**» ثم في عدد ١٩ يعلن الوعد المحرر بالنعمة المستقبلية كما فعل يسوع: «**فَيَمْلأُ إِلهِي كُلَّ احْتِيَاجِكُمْ بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي الْمَجْدِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.**» إن عشنا بالإيمان بهذا الوعد بالنعمة المستقبلية، سيكون من الصعب جداً أن يستمر القلق. إن «غنى الله في المجد» لا ينضب. وهو يريد لنا حقًا ألَا نقلق بشأن مستقبلنا.

عندما أشعر بالقلق

علينا أن نسير في خطى يسوع وبولس، أن نقاوم عدم الإيمان الناتج عن القلق بوعود النعمة المستقبلية. عندما ينتابني القلق حيال خطة ما أو مقابلة ما، فإنني أقاوم عدم الإيمان بأحد الوعود التي كثيرًا ما ألجأ إليها، (إشعياء ٤١: ١٠). في اليوم الذي سافرت فيه لقضاء ٣ سنوات في ألمانيا اتصل بي والدي عبر الهاتف وقال لي هذا الوعد. وقد رددته

في نفسي مئات المرات على مدار السنوات الثلاث في أوقات الضغط الشديد: «لاَ تَخَفْ لأَنِّي مَعَكَ. لاَ تَتَلَفَّتْ لأَنِّي إِلهُكَ. قَدْ أَيَّدْتُكَ وَأَعَنْتُكَ وَعَضَدْتُكَ بِيَمِينِ بِرِّي» (إشعياء ٤١: ١٠).

عندما يراودني القلق حيال عدم جَدوى خدمتي وفراغها، فإنني أقاوم عدم الإيمان بالوعد الذي جاء في (إشعياء ٥٥: ١١). «**هكَذَا تَكُونُ كَلِمَتِي الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ فَمِي. لاَ تَرْجعُ إِلَيَّ فَارِغَةً، بَلْ تَعْمَلُ مَا سُرِرْتُ بِهِ وَتَنْجَحُ فِي مَا أَرْسَلْتُهَا لَهُ.**»

عندما يراودني القلق حيال ضعفي الشديد وعدم قدرتي على القيام بعملي، فإنني أقاوم عدم الإيمان بوعد المسيح «**تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ**» (كورنثوس الثانية ١٢: ٩).

عندما يراودني القلق حيال قرارات عليّ أن أتخذها فيما يتعلق بالمستقبل، فإنني أقاوم عدم الإيمان بهذا الوعد: «**أُعَلِّمُكَ وَأُرْشِدُكَ الطَّرِيقَ الَّتِي تَسْلُكُهَا. أَنْصَحُكَ. عَيْنِي عَلَيْكَ**» (مزمور ٣٢: ٨).

عندما يراودني القلق حيال مواجهة خصوم، فإنني أقاوم عدم الإيمان بهذا الوعد: «**إِنْ كَانَ اللهُ مَعَنَا، فَمَنْ عَلَيْنَا؟**» (رومية ٨: ٣١).

عندما يراودني القلق حيال سلامة أحبائي، فإنني أقاوم عدم الإيمان بالوعد القائل إنني وإن كنت شريراً أستطيع أن أعطي أولادي عطايا جيدة، فكم بالحري «**أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، يَهَبُ خَيْرَاتٍ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ!**» (متى ٧: ١١). وأحارب للحفاظ على توازني الروحي بتذكرة

نفسي بأن كل من ترك بيتًا أو أخوةً أو أخوات أو أمًا أو أبًا أو أولادًا أو أرضًا من أجل المسيح «**يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ الآنَ فِي هذَا الزَّمَانِ، بُيُوتًا وَإِخْوَةً وَأَخَوَاتٍ وَأُمَّهَاتٍ وَأَوْلاَدًا وَحُقُولًا، مَعَ اضْطِهَادَاتٍ، وَفِي الدَّهْرِ الآتِي الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ**» (مرقس ١٠: ٢٩ – ٣٠).

عندما يراودني القلق من أن أمرض، فإنني أقاوم عدم الإيمان بالوعد القائل «**كَثِيرَةٌ هِيَ بَلاَيَا الصِّدِّيقِ، وَمِنْ جَمِيعِهَا يُنَجِّيهِ الرَّبُّ**» (مزمور ٣٤: ١٩). وأقبل مرتعدًا الوعد القائل: «**وَلَيْسَ ذلِكَ فَقَطْ، بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضًا فِي الضِّيقَاتِ، عَالِمِينَ أَنَّ الضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْرًا، وَالصَّبْرُ تَزْكِيَةً، وَالتَّزْكِيَةُ رَجَاءً، وَالرَّجَاءُ لاَ يُخْزِي، لأَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا**» (رومية ٥: ٣ – ٥).

عندما يراودني القلق من التقدم في السن، فإنني أقاوم عدم الإيمان بالوعد القائل: «**وَإِلَى الشَّيْخُوخَةِ أَنَا هُوَ، وَإِلَى الشَّيْبَةِ أَنَا أَحْمِلُ. قَدْ فَعَلْتُ، وَأَنَا أَرْفَعُ، وَأَنَا أَحْمِلُ وَأُنَجِّي**» (إشعياء ٤٦: ٤).

عندما يراودني القلق من الموت، فإنني أقاوم عدم الإيمان بالوعد القائل: «**لأَنْ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَّا يَعِيشُ لِذَاتِهِ، وَلاَ أَحَدٌ يَمُوتُ لِذَاتِهِ. لأَنَّنَا إِنْ عِشْنَا فَلِلرَّبِّ نَعِيشُ، وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَمُوتُ. فَإِنْ عِشْنَا وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَحْنُ. لأَنَّهُ لِهذَا مَاتَ الْمَسِيحُ وَقَامَ وَعَاشَ، لِكَيْ يَسُودَ عَلَى الأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ**» (رومية ١٤: ٧ – ٩).

عندما يراودني القلق من أن ينهار إيماني فأبتعد عن الله، فإنني أقاوم عدم الإيمان بهذين الوعدين الثمينين: «**وَاثِقًا بِهذَا عَيْنِهِ أَنَّ الَّذِي**

ابْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلًا صَالِحًا يُكَمِّلُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (فيلبّي ١: ٦)، و«**فَمِنْ ثَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى التَّمَامِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ.**» (العبرانيين ٧: ٥٢).

هذه هي طريقة الحياة التي لم أزل أتعلمها في عقدي السابع. وأكتب هذا الكتاب راجيًا ومصليًا أن تنضموا إليَّ. لنعلن الحرب، ليس على أناس آخرين، بل على عدم إيماننا. إنه جذر القلق، والقلق بدوره هو جذر الكثير من الخطايا الأخرى. لذا لنُشغل المساحات ولنستخدم الماء، ولنثبت أنظارنا على وعود الله العظيمة والثمينة. أحضر كتابك المُقدّس، واطلب معونة الروح القدس، وضع الوعود في قلبك، وجاهد الجهاد الحسن – وأن تحيا بالإيمان بالنعمة المستقبلية.

هكذا قال الرب:

«هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: لاَ يَفْتَخِرَنَّ الْحَكِيمُ بِحِكْمَتِهِ، وَلاَ يَفْتَخِرِ الْجَبَّارُ بِجَبَرُوتِهِ، وَلاَ يَفْتَخِرِ الْغَنِيُّ بِغِنَاهُ.. بَلْ بِهذَا لِيَفْتَخِرَنَّ الْمُفْتَخِرُ: بِأَنَّهُ يَفْهَمُ وَيَعْرِفُنِي أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الصَّانِعُ رَحْمَةً وَقَضَاءً وَعَدْلًا فِي الأَرْضِ، لأَنِّي بِهذِهِ أُسَرُّ، يَقُولُ الرَّبُّ.»

(إرميا ٩: ٢٣ – ٢٤)

إن متعة الغرور كمتعة الحَكّة. فقد يحتاج جزء من جسدك إلى الحَكّة، ولكن من الأفضل كثيرًا ألا يكون هناك جزءً من جسدك يشعرك بالرغبة في الحَكّة من الأساس. طالما كانت لدينا الرغبة في الاعتداد بالنفس، سنرغب في متعة الرضا عن النفس. أما اللحظات السعيدة حقًا فهي تلك التي ننسى فيها أنفسنا الثمينة وننعم فيها بكل ما هو سواها

(اللّه، غيرنا من البشر، الحيوانات، الحديقة، السماء).

سي إس لويس

«فَتَوَاضَعُوا تَحْتَ يَدِ اللهِ الْقَوِيَّةِ لِكَيْ يَرْفَعَكُمْ فِي حِينِهِ».

(بطرس الأولى ٥: ٦)